الثالوث عند كنيسة القرون الأولى[1]

الأب أنطوان ملكي المغبوط الذكر

مع وصولنا الى نهاية القرن العشرين، لم يزل من الصعب الكلام على الثالوث بشكلٍ علميّ ويبقى الكلام اليقين والصحيح في هذا الموضوع حكرًا على الذين يسكنهم الروح القدس بشكلٍ حيّ وفاعل. فمع أنّ صياغات هذه العقيدة الأساسيّة في المسيحيّة لم تتّضح تعابيرُها إلّا في أواخر القرن الرابع، وذلك لدحض البدع التي مسّت الأقنومَين الثاني والثالث، فهذا لا يعني أنّ كنيسة القرون الأولى لم تكن تملك الإيمان الصحيح، وبخاصّةٍ هذه العقيدة الثالوثيّة التي يؤكّد الآباء أنّ الإشارات اليها موجودةٌ حتّى في العهد القديم، وإن لم يفهمها أهلُه في حينه.

في هذه الدراسة، سوف نعرض أهمَّ الآراء الآبائيّة عن الثالوث في فترة القرون الأولى، أي تحديدًا حتّى نهاية القرن الثالث. فكنيسة القرون الأولى تسلّمت من الرسل ما تسلّموه هُم أنفسهم من الربّ يسوع الذي أشار في أكثر من محطّةٍ الى ثالوثيّة الله. وقد حفِظت هذه الكنيسة هذا التعليم ونقلتْهُ بأمانة، إلى أن أتت المجامع اللاحقة وأوضحته وثبّتته كعقيدة. ويظهر التزام هذه الكنيسة في عدّة أمورٍ أهمّها: الليتورجيا وتعليم الآباء القدّيسين.

الليتورجيا

يصِفُ يوستينوس الشهيد الليتورجيا الإفخارستيا التي تُقام بوجود المعتمد الجديد مع الإخوة بأنّها تبدأ بصلواتٍ حارّةٍ من أجل الجميع في كلّ مكان، لكي يحصلوا على النعمة فيعملوا الصالحات ويحفظوا الوصايا، فيَصلوا إلى الخلاص الأبديّ. وبعد هذا، يتبادلون قبلة السلام، ثمّ يأخذ المتقدّم خبزًا وخمرًا ويُمجّد الآب من خلال اسم الابن والروح القدس[2].

[1] مقالة منشورة في مجلة التراث الأرثوذكسي في كانون الأول 2011
https://www.orthodoxlegacy.org/2011-12-29-14-45-21/

[2] Leberton, Jules and Zeiller, Jacques. *The Emergence of the Church in the Roman World.* Book II of *A History of the Early Church*. Collier Books. New York. 1962. P. 164.

ونجِدُ، بعد هذا التاريخ بقليل، لدى القدّيس إيريناوس في سياق إيضاح التعليم الرسوليّ، وصفًا لليتورجيا العماد: **"عندما نتجدّدُ بالمعموديّة المُعطاة لنا باسم الأشخاص الثلاثة، نقتني في هذه الولادة الثانية الأشياء الحسَنة التي في الله الآب من خلال ابنه مع الروح القدس. لأنّ الذين يعتمدون يحصلون على روح الله الذي يُسلّمهم للكلمة، الذي يأخذهم ويسلّمهم إلى أبيه، والآب ينقل لهم عدم البِلى. إذًا من دون الروح، لا يستطيع أحدٌ أن يرى كلمة الله. ومن دون الابن،لا يستطيع أحدٌ أن يصِلَ الى الآب لأنّ معرفة الآب هي الابن، ومعرفة ابن الله تكون بالروح القدس... ولكنّ الابن وحده هو مَن يوزّع الروح بحسب ما يُرضي الآب..."**[3].

أيضاً نجِدُ في عددٍ من إعلانات الإيمان التي تعود الى القرون الأولى، اعترافاتٍ بالآب والابن والروح القدس. أقدمُها ما يسمّى برسالة الرسل The Epistle of the Apostles، وهي من الأدب الأبوكريفيّ، وكُتبت نحو العام 180، وقد جاء فيها ما يلي:

"أومن بالآب الكلّيّ القدرة

بيسوع المسيح مخلّصنا

وبالروح القدس المعزّي

بالكنيسة المقدّسة، بمغفرة الخطايا".

وُجِدَ أيضًا نصٌّ مماثلٌ على أوراق بردي مصريّة تعود الى أواخر القرن الثاني، ما يدلّ على أنّ الاعتراف الثالوثيّ كان منتشرًا في أنحاء العالم الرومانيّ[4].

وأيضًا يمكننا أن نقرأ توصيات في تعليم الرسل الاثني عشر تُشدّد على أن يكون التعميد باسم الآب والابن والروح القدس[5].

[3] المرجع نفسه، ص. 168.

[4] المرجع نفسه، ص. 172.

[5] رستم، أسد. آباء الكنيسة. القرون الثلاثة الأولى. منشورات النور. 1983. ص. 60.

وفي السياق نفسه، النصّ الذي يورده هيبّوليتوس عن ممارسة سرّ المعموديّة هو التالي:

"وعندما ينزل الطالبُ إلى الماء يضع المعمِّد يدَه عليه ويقول: هل تؤمن بالله الآب الفائق القدرة؟ فيُجيب طالبُ المعموديّة: إنّي أومن. فيُعمّده المعمِّد مرّة. ثمّ يقول له: وهل تؤمن بالمسيح يسوع ابن الله الذي ولِدَ من الروح القدس ومن مريم العذراء، الذي صُلِبَ في عهد بيلاطس البنطيّ ومات وقُبِرَ وقام في اليوم الثالث من بين الأموات، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وبأنّه سيأتي ليدين الأحياء والأموات؟ وعندما يقول إنّي أومن يُعمّده مرّة ثانية. ثمّ يقول له وهل تؤمن بالروح القدس وبالكنيسة المقدّسة وبقيامة الجسد؟ فيقول المعمَّد إنّي أومن فيُعمّده المعمِّد مرّة ثالثة. وبعد خروجه من الماء، يمسحه الكاهن بزيتِ الشُّكر قائلاً: "إنّي أمسحُكَ بالزيت المقدّس باسم يسوع المسيح"، فيخرج عندئذٍ المعمَّدون من الماء، وينشّفون أجسادهم بالمناشف، ويلبسون ثيابهم ويجتمعون في الكنيسة"[6].

تعليم الآباء القدّيسين

إضافةً إلى النصوص الليتورجيّة التي رأينا فيها دلائل على أنّ إيمان كنيسة القرون الأولى الثالوثيّ بلغ المُمارسة، هناك كتاباتٌ عديدةٌ لآباءٍ وكتّابٍ كنسيّين من القرون الثلاثة الأولى توضح أكثر مفهوم كنيسة تلك القرون لهذه العقيدة الأساسيّة.

نبدأ بالقدّيس إقليمس أسقف رومية في رسالته الى أهل كورنثوس التي يردّ الدارسون تاريخها إلى أواخر القرن الأوّل، حيث نقرأ:

"الرسل بشّرونا بيسوع المسيح أرسله الله. المسيح من الله والرسل من المسيح... والرسل... تأكّدوا من كلام الربّ بالروح القدس.... وأقاموا مختاري الروح القدس.."[7].

أيضًا في مكانٍ آخر من الرسالة نفسها، نرى أنّ القدّيس يعتبر أنّ إيمان المختارين ورجاءهم هو في حياة الأقانيم الثلاثة، من دون أن يسمّيها أقانيم:

[6] المرجع نفسه، ص. 177.

[7] الآباء الرسوليون. طبعة ثانية. عربه عن اليونانية المثلث الرحمات البطريرك الياس الرابع (معوض). منشورات النور. 1982. ص. 42.

"اقبلوا نصيحتنا فلن تندموا. حيٌّ هو الله، حيٌّ هو يسوع المسيح وحيٌّ هو الروح القدس وحيٌّ هو إيمان ورجاء المختارين"[8].

وفي الرسالة نفسها، يرى القدّيس في وحدانيّة الثالوث دعوةً إلى وحدة المؤمنين:

"أليس لنا إلهٌ واحدٌ ومسيحٌ واحدٌ وروح نعمةٍ واحدٌ انسكبَ علينا؟ ودعوةٌ واحدةٌ في المسيح؟ لماذا نُمزّق ونقطع أعضاء المسيح؟"[9]

وبعد هذا التاريخ بقليلٍ نقرأ لدى القدّيس أغناطيوس المتوشّح بالله كلامًا أوضح عن الثالوث للتعبير عن اكتمال الوحدة بين المؤمنين مشبّهًا إيّاها بالوحدة بين الأقانيم، وذلك في رسالته الى أهل مغنيسية:

"حاوِلوا أن تثبتوا في عقائد الربّ والرسل حتّى تنجحوا في أفعالكم، في الجسد والروح في الإيمان والمحبّة. في الآب والابن والروح القدس، في البدء والنهاية بالاتّفاق مع أسقفكم الجليل... أطيعوا أسقفكم وبعضكم بعضًا كما أطاع المسيح بالجسد الآب، وكما أطاع الرسلُ المسيح والآب والروح القدس حتّى تكون الوحدة جسديّة وروحيّة"[10].

وفي عدّة أماكن أخرى، يساوي القدّيس أغناطيوس بين الآب والابن، فالحياة هي في الله أو في المسيح، والمسيحيّ يسعى للوصول الى الله أو الى المسيح، والمسيحيّون هم هياكل الله أو هياكل المسيح. ففي رسالته إلى بوليكاربوس يساوي بينهما:

"كُن عظيمًا أكثر ممّا أنتَ واعرف الأوقات معرفةً جيّدة. ترجّى مَن هو فوق الزمان، ترجّى مَن لا زمان له، غير المنظور، الذي صار منظورًا لأجلنا، الذي لا يُلامَس والذي لا يتألّم وتألّم من أجلنا واحتمل كلّ شيء"[11].

ثمّ نجده يميّز بينهما في رسالته الى أهل أفسس:

[8] المرجع نفسه. ص. 50

[9] المرجع نفسه. ص. 44.

[10] المرجع نفسه. ص. 118-119

[11] المرجع نفسه. ص. 139.

"لا يوجد غير طبيبٍ واحد، طبيب جسديّ وروحيّ، مولود وغير مولود، إله متجسّد وفي الموت حياة حقيقيّة. وُلد من العذراء ومن الله، قابلاً للآلام قبلاً وغير متألّم الآن، يسوع المسيح ربّنا"[12].

وأيضًا المتوشّح بالله يعلّم أهل مغنيسية أنّ الابن هو كلمة الله الذي أظهر الله نفسَه فيه[13]، وقد تجسّد وأتى إلينا ليكلّمنا لأنّه **"الفم الذي لا يعرف الكذب والذي تكلّم به الآب حقًّا"**[14]. وهو إذ يريد أن يدعم رأيه، يؤكّد أنّ ما يكشِف له ويُنير أفكاره ليس حكمته الشخصيّة بل الروح القدس الذي يطلب الوحدة:

"إذا كان البعض يشكّون بي لأنّي أرى مسبقًا شقاقات البعض فإنّي أشهد لله لا اللحم لم يكشف لي ذلك. إنّ الروح يقول لا تفعلوا شيئًا بدون الأسقف واحتفظوا بأجسادكم كهياكل لله، وأحبّوا الوحدة..."[15]

وفي قصّة استشهاد القدّيس بوليكاربوس، والتي يُعزى تاريخُها الى الربع الأوّل من القرن الثاني، نقرأ صلاة القدّيس قبل استشهاده:

"أيها الربّ الكلّيّ القدرة أبو ابنك المبارك المحبوب يسوع المسيح... أباركَكَ لأنّك أهلتَني في هذا اليوم وفي هذه الساعة لأكون من عداد شهدائك ومن مساهمي كأس مسيحك لقيامة الروح والجسد في الحياة الأبديّة بدون فساد، في الروح القدس... وأمجّدك بالكاهن الأعظم السماويّ الخالد يسوع المسيح ابنكَ الحبيب الذي به المجد مع روحك المقدّس الى الأبد آمين"[16].

فهكذا نقرأ وضوح الفكرة بأنّ مجد الآب هو في ابنه وروحه. أمّا في نهاية القصّة فنقرأ أنّ المجد مقدَّمٌ للآب والابن والروح القدس معًا.

ولكن لا إقليمس ولا أغناطيوس ولا أيّ من الكتّاب الآخرين الذين كتبوا في تلك الفترة، قاربَ السؤال الذي أصبح لاحقًا مدار الجدل، وهو علاقة الابن والروح بالآب[17].

---

[12] المرجع نفسه. ص. 110.

[13] المرجع نفسه. ص. 117.

[14] المرجع نفسه. الرسالة الى أهل رومية. ص. 127.

[15] المرجع نفسه. الرسالة الى فيلادلفيا. ص. 131.

[16] المرجع نفسه. ص. 161-162.

[17] Dictionnaire de Spiritualité. Vol. , p. 296.

فهِرماس الذي لا تُعتبر كتاباته قانونيّة، يخلط بين الابن والروح، فيرى أنّ هناك شخصان لا ثلاثة:
"جاء ملاك التوبة وقال لي: أريد أن أريكَ كلَّ ما أراك الروح القدس الذي خاطبكَ تحت شكل الكنيسة. هذا الروح هو ابن الله"[18].

وفي مكانٍ آخر نرى أنّه يلمّح الى أنّ المخلّص هو ابن الله بالتبنّي لأنّه خدم الروح بأمانة، وذلك بناءً على مفهومه السابق الذي يرى أنّ الروح والابن واحد[19].

ومع نهاية القرن الثاني، كانت علاقة الابن والروح بالآب قد بدأت تُطرَح، لا سيّما أنّ أتباع سيمون الساحر كانوا كثُرًا في السامرة، وكانت لهم نظرةٌ ثالوثيّةٌ ذات أصلٍ غنوصيّ. ومن السامرة انتقلت تلك الفكرة إلى أماكن أخرى من الدولة الرومانيّة كان يتواجد فيها المسيحيّون. يذكر القدّيس يوستينوس الشهيد الذي كان من نابلس أنّ أكثر السامريّين، مع آخرين من الأمم الأخرى، كانوا يرون في سيمون الساحر إلهًا أعلى. وفي نهاية القرن الثاني، يخبر القديس إيريناوس عن محاولات الغنوصيّين التكيُّف مع العقيدة الثالوثيّة بقولهم إنّ سيمون نزل بين اليهود بهيئة الابن، وبين السامريّين بهيئة الآب، وبين الأمم الأخرى بهيئة الروح القدس[20].

أيضًا في تلك الفترة، كانت قد بدأت تُطرَحُ تساؤلاتٌ حول ألوهة الروح بالابن والآب. وقد نشأت فكرتان: الأولى تقول إنّ الروح الإلهيّ أُضيفَ إلى يسوع الإنسان، والثانية تقول إنّ التجسّد كان صورةً يعلن الله نفسَه فيها للناس. وقد تبنّى الإبيونيّون Ebionites المبدأ الأوّل، وتبنّى الدوكيّون Docetics المبدأ الثاني، ورفضت الكنيسة المبدأَين[21]. وقد تولّى الآباء المناضِلون الدفاع عن الإيمان الصحيح ضدّ ادعاءات الغنوصيّين واليهود والوثنيّين.

أقدم دفاعٍ مسيحيّ ضدّ تهجّمات اليهود هو حوار يوستينوس الشهيد مع اليهوديّ تريفو. وفيه يرى يوستينوس أنّ الكلمة الإلهيّة (بالمعنى الحرفيّ) هي الواسطة التي علّم الله من خلالها العالم كلّه، ليس فقط بطاركة العهد القديم بل أيضًا الفلاسفة اليونان. وهو في هذا أوّل كاتبٍ استعمل عبارة "الكلمة" للدلالة على معنيَيها

[18] الآباء الرسوليون. ص. 235.

[19] المرجع نفسه. ص. 221.

[20] Leberton. p. 48.

[21] Jackson, F.J. Foakes. *The History of the Christian Church: From the earliest times to AD 461*. George Allen and Unwin LTD. London. 1957. p. 156.

المستعملَين الواحد في الفلسفة والآخر في لغة الوحي. فالله الحقيقيّ هو **"أبو العدالة والحِكمة وجميع الفضائل، وهو لا يظهر للعالم إلّا بواسطة وسيطٍ الذي هو الكلمة أو الأقنوم الثاني، الذي مع الآب نبجّله ونعبده ونكرّمه"؛ وهو "الابن الوحيد لإله الكون المولود منه كلمة وقوّة وبالتالي المولود من العذراء بالجسد كما نقل ذلك إلينا الرسل القدّيسون"**. والكلمة هو الطريق الحقّ إلى الله وهو معلّم الإنسان. وفي البدء كان قوّةً كامنةً في الله، فانبثق عنه بإرادته قبيل خلق العالم. ثمّ خلقَ الكلمة العالم[22]. والمسيح أعلن عن الروح القدس الذي هو الروح النبويّ والذي يعرفه يوستينوس من خلال إعلان المسيح عنه. وفي وقتٍ يناقش يوستينوس انبثاق الابن عن الآب ويُشبّهه بامتداد لهيب النار[23]، لا يحدّد الروحَ القدس لاهوتيًّا ولا يناقش طبيعته لأنّ عقله لا يدرك جوهر هذا الروح، ولكنّه يؤكّد تعليم التقليد بأنّ الروح هو الذي كشفَ سابقًا للأنبياء عن المسيح وهو الذي حلّ في العذراء فولدت ابنها[24]. ومع هذا فهو أحيانًا يدمج بين الابن والروح، ولكنّه يعود دائمًا إلى الكتاب المقدّس للدفاع عن التعليم الصحيح.

أمّا ثيوفيلوس الأنطاكيّ، فعقيدته مشابهةٌ لعقيدة يوستينوس، ولكن مع اختيارٍ أكثر دقّة في التعابير. وهو أوّل مَن استعملَ كلمة ثالوث "Triav"[25].

أثيناغوراس الأثينيّ كتب عن الثالوث في النصف الثاني من القرن الثاني بطريقةٍ أوضح من طريقة يوستينوس، وقد اعتبر أنّ الابن هو مِن نتاج الآب وأنّ الله احتواه منذ البدء، أمّا الروح القدس الذي يتكلّم في الأنبياء فهو فيضٌ من الله يشعُّ عنه ويعود إليه كشعاع الشمس[26].

إيريناوس أسقف ليون لم يبحث في علاقة الأقانيم الثلاثة، إلّا أنّه كان واثقًا من وجودهم قبل الدهور ولا سيّما قبل الخلق، لأنّ العبارة "فلنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا" كانت قد وُجِّهت من الآب إلى الابن والروح

[22] رستم. ص. 81.

[23] المرجع نفسه. ص. 81.

[24] رحمه، الأب جورج. يوستينوس الروماني وأثيناغوراس الأثيني. موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ – 3. منشورات المركز الرعوي للأبحاث والدراسات. 1992. ص. 67-87.

[25] Jackson. ص. 161. إنظر أيضاً رستم. ص. 96.

[26] رستم. ص. 92-93.

القدس، "يدَي الآب" على حدّ تعبير إيريناوس. وهو يؤكّد أنّ الإنسان لا يستطيع أن يبيّن كيفيّة علاقة الابن بالآب، إنّما الآب والابن فقط يعلمان ذلك، ومَن يحاول وصف هذه العلاقة يحاول وصف أمورٍ لا توصَف[27].

والواقع أنّه كان هناك فرقٌ بين الشرق والغرب من ناحية الاهتمامات. فالشرق اهتمّ باللاهوت بينما اهتمّ الغرب بالتنظيم. وهذا ما يَظهر في مقاربة كلٍّ من المجموعتين لموضوع الثالوث[28]. وفي الشرق تقدّمت المدرسة الإسكندريّة على الأنطاكيّة، بخاصّةٍ مع وجود أوريجنّس.

نشأت بدعة المونارخيّين التي قال بعض أتباعها إنّه ليس في الثالوث سوى مظاهر مختلفة للإله الواحد. وقد ردّ أوريجنّس على هذه البدعة، وعلّم أنّ هناك إلهين بقدرةٍ واحدة، وهو ما عُبِّر عنه في القرن الرابع بأقنومَين وجوهرٍ واحد[29]. والثالوث ليس مظاهرَ مختلفةً لإله واحد، فالابن انبثق من الآب انبثاق الإرادة من العقل. وكون الله أزليًّا أبديًّا، هذا الانبثاق أزليٌّ أبديٌّ أيضًا، وبالتالي لا بداية للابن. وعلاقته بالآب هي الوحدة في الجوهر. وصار أوريجنّس يستعمل عبارة "omoousio". ولكنّ الخطأ الذي يراه الدارس للاهوتِ أوريجنّس هو في اعتباره تدرُّجًا في الثالوث، ويظهر هذا في تعليقه على يو 14:28 :"أمّا نحن الذين نُصدّق المخلّص حين قال "إنّ الآب الذي أرسلني هو أعظم منّي" نعترف بأنّ المخلّص والروح القدس أعظم من كلّ الأشياء التي صُنعت، ولكننا نعترف بأنّ الآب أعظم منها بقدر ما هما أعظم من المخلوقات"[30].

ومن الكتابات المهمّة في إظهار الإيمان بالثالوث هو الإكثيسس أو دستور الإيمان الذي أعدّه القدّيس غريغوريوس العجائبيّ أسقف قيصريّة الجديدة وتلميذ أوريجنّس:

"يوجد إلهٌ واحدٌ أبو الكلمة الحيّ حكمته المستمرّة وقدرته وصورته الدائمة: والدٌ كاملٌ لمولودٍ كاملٍ وأبو الابن الوحيد. ويوجد سيّدٌ واحد، واحدٌ من واحد، إلهٌ من اله، صورة الإله ومثاله وكلمته القدير وحكمته واعي جميع الأمور وخالق كلّ المخلوقات، ابنٌ حقيقيٌّ من أبٍ حقيقيّ، غير منظورٍ من غير منظور، وغير فاسدٍ من غير فاسد، حيٌّ من حيّ وخالدٌ من خالد. ويوجد روحُ قدسٍ واحدٌ مستمَدٌّ من الله ظاهرٌ بالابن

[27] المرجع نفسه. ص. 111.

[28] Jackson. ص. 167.

[29] رستم. ص. 140.

[30] المرجع نفسه. ص. 143.

ليُعلم الخليقة، صورة الابن، صورةٌ كاملةٌ لكامل. هو الحياة وسبب وجود الأحياء. ينبوعٌ مقدّس، قداسةٌ تعطي القداسة وتقود إليها. فيه يتجلّى الله الآب الذي هو فوق الجميع وفي الجميع، وفيه يتجلّى الله الابن الذي في الجميع. ثالوثٌ كاملٌ في المجد والخُلود والسيادة غير منقسمٍ أو منفصل. وهكذا فإنّه ليس في الثالوث أيُّ شيءٍ مخلوق أو مستعبَد أو أيُّ شيءٍ مرّ زمنٌ ولم يكن الابنُ بحاجةٍ إلى الآب أو الروح إلى الابن. والثالوث باقٍ الى الأبد دون اختلافٍ أو تغيير"[31].

وقد كتب غريغوريوس هذا الدستور لحاجة التبشير والتعميد، ولهذا فلغته مباشرةٌ وواضحة، والكثير من التعابير هي نفسها تبنّتها المجامع التي أقرّت العقائد المتعلّقة بأقانيم الثالوث، والتي لم نزل نستعملها حتّى اليوم.

أمّا في الغرب، فنقرأ عند هيبّوليتوس في وصفه لممارسة سرّ المعموديّة، أنّ هذا السرّ أُقيمَ بحسب وصيّة الربّ في متّى 19:28[32]. تعابير النصّ الذي يورده أسد رستم في كتابه تشبه الى حدٍّ كبيرٍ تعابير قانون الإيمان النيقاويّ.

ولكن هذا ليس كلّ شيء لدى هيبّوليتوس، إذ إنّه فرّقَ بين الكلمة الكامن في الله والكلمة الملفوظ، وحكى عن شيءٍ من التدرُّج في الثالوث[33].

أمّا نواتيانوس، وهو من الغربيّين أيضًا، فقد كتبَ مؤلّفًا كبيرًا باللاتينيّة عرضَ فيه عقيدة الثالوث الأقدس دون أن يستعمل اللفظ Trinitas. وقد تلافى استعمال هذا اللفظ لشدّة اهتمامه بوحدة الله. وقد ماشى ثيوفيلوس وإيريناوس وهيبّوليتوس في نظرتهم التدرُّجيّة للثالوث، ورأى أنّ المسيح كان دائمًا خاضعًا لله، معتبرًا إيّاه الملاك صاحب المشورة العُظمى والرسول. وكذلك الروح القدس كان أقلّ من الابن، والمؤمنون يتسلّمونه من المسيح الذي تسلّمَهُ عند المعموديّة، ويولدون به ثانيةً بالمعموديّة. وهذا الروح هو الذي عمل في الأنبياء بصورةٍ مؤقّتة، وهو يعمل في الرسل بشكلٍ دائم، وهو يحفظ الكنيسة[34].

[31] المرجع نفسه. ص. 155.

[32] في مكان سابق من النص.

[33] رستم. ص. 177-178.

[34] المرجع نفسه. ص. 182-183.

أيضاً من الغربيّين الذين لمعوا في إفريقيا هو ترتليانوس. فقد قال إنّ العقيدة هي دستورٌ وشريعةٌ مفادها الإيمان بإلهٍ واحدٍ كلّيّ القدرة خالق الكون، وبابنه يسوع المسيح المولود من العذراء الذي صُلِبَ في عهد بيلاطس البنطيّ وقام في اليوم الثالث، وقُبِلَ في السماء جالسًا عن يمين الآب، والذي سيأتي ليدين الأحياء والأموات بقيامة الجسد. وبعد جلوس الابن عن يمين الآب، أرسلَ الروح القدس ليقود المؤمنين. وقد كان ترتليانوس سبّاقًا بين الغربيّين في استعمال عبارة الثالوث باللاتينيّة Trinitas، وعبّرَ بوضوحٍ عن الثالوث إذ قال إنّ الابن هو من جوهر الآب، والروح القدس هو من الآب بالابن. وقد استعمل كلمة Personna للدلالة على الأقنوم، وذلك للتمييز وليس للتفريق. انتقد اليهود في اعتبارهم أنّ الله كان يُحدّث الملائكة في قوله "لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا"، إذ إنّه اعتبر أنّ هذه الآية هي إشارةٌ إلى ثالوثيّة الله منذ الأزل. ومع هذا كلّه، فقد تكلّم عن التدرُّج في الثالوث، واعتبر أنّ الله هو الجوهر كاملاً أمّا الابن فهو انبثاقٌ من الكلّ[35].

لكتنتيوس من الغربيّين أنكرَ وجود الروح القدس كأقنومٍ ثالث، وربطه تارةً بالآب وتارةً بالابن[36].

خاتمة

ختاماً للبحث، يمكننا القول إنّ كنيسة القرون الأولى حفظت الإيمان الذي تسلّمَتْهُ وتمكّنتْ من تسليمه، بالرغم من كلّ الأخطاء التي عرضناها والتي نستطيع أن نراها لا كأخطاء بل كقصورٍ عن بلوغ المعرفة التي توصّل إليها الآباء الذين صاغوا هذه العقيدة لاحقًا في المجامع. أسباب هذا القصور متعدّدةٌ أهمّها أنّ المشكلات التي تتعلّق بأقنومَي الابن والروح القدس لم تكن قد طُرحت بعد بالحدّة عينها التي استدعت انعقاد المجامع. وما التطوّر الذي تمّ بين نشوء الكنيسة والقرن الرابع، اي انعقاد المجامع المسكونيّة التي فيها تمّ التعبير عن هذه العقيدة بالشكل الذي لم يزل معمولاً به حتّى اليوم، إلّا تطوّرٌ بالشكل والتعبير وليس بالمضمون والخبرة. فالروح القدس هو نفسه العامل في الآباء كلّهم في الأزمنة كلّها، والخبرة الإلهيّة التي تتمحور حولها الحياة المسيحيّة في كلّ الأوقات هي نفسها.

[35] المرجع نفسه. ص. 190-191.

[36] المرجع نفسه. ص. 204.